العودة إلى الرياض من جديد

وكما قلت، توجهنا في الصباح الباكر إلى الرياض ودخلتها بعد اعتقال الإخوان بخمسة عشر يوماً تقريباً، كان الجو العام ما بين ساخط ومتعاطف. كانت هذه الاعتقالات الجماعية الأولى من نوعها في المملكة وقتها، إذ لم يحدث أن اعتقلت جماعة إسلامية أو تنظيم إسلامي من قبل، ومن الأسباب التي لمستها في سبب ابتهاج الشباب السلفيين أنهم أصبح لهم صلة بالمعتقلات التي كانت حكراً على الإخوان المسلمين وكما قال أحد الإخوان: لم يعد أحد أحسن من أحد، فكما هم ـ أي الإخوان المسلمين ـ دخلوا المعتقلات فعندنا من دخل المعتقلات في سبيل الدعوة إلى الله وهذه النقطة مهمة هنا، فالشحن النفسي والفكري الذي بُثّ ويُبَث عبر وسائل الاتصال المتعددة التي تصبّ في مجملها في صالح روّاد المعتقلات والسجون من الإخوان المسلمين وغيرهم في ما بعد صنع جيل ينظر لهم على أنهم مجاهدين ومناضلين في سبيل كلمة الحق وأنهم قدوة يجب الاقتداء بهم. بمعنى أصح، صنع منهم طبقة لها أتباع ومناصرون،

وأنا أرى أن استعمال سياسة السجون والمعتقلات كحلّ وحيد له أضراره الكثيرة في ما بعد والأَوْلى اتباع سياسة الاحتواء الإيجابي، ويتمثل في إعادة تأهيل قادة التنظيم من خلال عدة منافذ، وما يتناسب وميول هذا القائد أو ذاك، هذا الكلام ينطبق أيضاً على إعادة تأهيل العائدين من أفغانستان مثلاً، وتجربة الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، خير مثال على نجاح تجربة إعادة التأهيل حينما ابتكر، نظام، الأفواج وضم لها الإخوان الذين حاربوا معه في توحيد المملكة ولم يتركهم لمصائرهم وأهوائهم. وكما قلت كان الرياض بجماعاته الإسلامية يموج بالأسئلة التي تبحث عن إجابات خصوصاً مصير المعتقلين وعلمت عن طريق أحد الإخوان أن هناك وساطات من قبل بعض المشايخ قد تحركت، وبعد أسبوعين دعينا إلى اجتماع عام نظّمه أحمد المعلم في البر على طريق الرياض المجمعة، وحضره مجموعة كبيرة من الإخوان. وتكلم أحمد حسن المعلم عن الذي حصل مع الإخوان من اعتقالات، وأن هذا ابتلاء من الله ليختبر عباده. كان أحمد المعلم هو أكبر قياديّ في المجموعة، فهو عضو مجلس الشورى في الجماعة وهو الذي بقي مع جهيمان منهم. وأثناء حديث أحمد المعلم والإخوان منصتون لحديثه، وقفت إلى جانب المجموعة سيارة وانيت ونزل منها محمد الحيدري أمير الإخوان في الرياض، وهو من الذين اعتُقلوا، وأَخبرنا أن الإخوان أطلق سراحهم وطلب منا أن نفض هذا الاجتماع وأنه أُخذ عليه تعهد بعدم التجمع والتحزب، وفهمنا

من كلامه أنه لم يعد منضماً إلى الإخوان وحقيقةً كان موقفه شجاعاً في تلك اللحظة وتلك الظروف، ولم أقابله بعدها في أي مكان حتى هذه الساعة. وهكذا أصبحنا بعد ذلك نستقصي أخبار من اعتقل وأفرج عنهم، وعلمنا أنه أفرج عن جميع من اعتقل من الإخوان، وعلمنا أن مقبل بن هادي الوادعي قد أفرج عنه مع الإبعاد عن المملكة وسمح له أن يناقش رسالته للماجستير ثم يسفَّر بعدها وقد كان ذلك بعد شهرين تقريباً من خروجه من السجن. وحضرت مناقشة رسالته في الجامعة الإسلامية، وكانت في كتاب **الإلزامات والتتبع** للدارقطني، في تلك الفترة انتعش حال الإخوان وانضم في صفوفهم مجاميع من الشباب حتى إن بعض الإخوان المسلمين الذين انضموا إليهم أصبحوا ملء السمع والبصر بين الناس، وخصوصاً الإسلاميين. فالاعتقال صنع منهم أبطالاً وصبغهم بصبغة مغناطيسية كان الجميع ينجذب إليها، ومن لم يكن مقتنعاً بأفكار الجماعة كان يدفعه الفضول لمتابعتها ومتابعة أفكارها، وزاد هذا الأمر وبوتيرة متسارعة بعد توزيع أول رسالة، ولذلك حديث آخر. في هذه الفترة توطدت علاقتي بالشيخ عبد العزيز بن باز عن طريق خالد الشريمي فطلبنا أن يُلقي علينا درساً في **سنن الترمذي**، وقد كان. فأخذنا ندرس عليه بعد صلاة الفجر أنا وخالد الشريمي وعبد العزيز السدحان إضافة إلى طلاب علم آخرين يقرأون على الشيخ كتباً أخرى، وكنت أحضر تجمعات الإخوان في بيت الإخوان أو في بيت أحدهم.

(١٢)

في أحد الأيام التقيت بعبد اللطيف الدرباس، وهو من الإخوان الذين أعرفهم بشكل جيد، ويحمل الجنسية الكويتية، وقد أحرق أوراقه الثبوتية مبكراً، وسكن المدينة، ثم اتخذ له خيمة في الصحراء وبالرغم من أنه حضريّ أصلاً إلا أنه يمجّد حياة البداوة بشكل فيه جلافة متكلفة، وهذه طبيعة الطارئين على التحول سواء كان دينياً أو اجتماعياً حيث تجدهم في لهاث لإثبات جدارتهم بالموقع الجديد الذي وصلوا إليه. وقد ذكر لي عبد العزيز السدحان أنه كان في مخيمهم في الكويت وكان معه عبد اللطيف الدرباس ووضع الفطور وكأن أحدهم استنكف أو اشمأز من الفطور فقام الدرباس كرد على هذا الشخص بذر التراب في الفطور وقال لهم كلوا فردّ عليه عبد العزيز السدحان بأن هذا مخالف للسنة فقال له ما دليلك فذكر له .قول الرسول للذي وقعت منه التمرة أمط عنها الأذى وكل فسماه أذى، فقال له الدرباس أنتم تريدون أن تُلبِسوا علينا ديننا !! على كل حال ذكر لي هذا الرجل أن جهيمان قد ألّف رسالة اسمها «**رفع الالتباس عن ملة إبراهيم عليه السلام**» وأنه سيطبعها في الكويت وأنه، أي عبد اللطيف، ذهب بها إلى دار القَبَس أولاً فطلبوا مبلغاً عالياً، ثم ذهب بها إلى دار الطليعة ذات التوجه اليساري وحينما أخبرهم الدرباس بملابسات تأليفها وأن مؤلفها مطارد من قبل الأمن السعودي تحمست الدار وطبعتها بسعر التكلفة، أي أقل من الريال للنسخة، علماً أن

دار القبس طلبت منهم ثلاثة ريالات تقريباً للنسخة، وفعلاً طُبعت الرسالة وطلب من دار الطليعة أن لا تذكر اسم أو مكان الطباعة وتم لهم ذلك وطبعت الرسالة والرسائل الأخرى بعد ذلك في الدار نفسها[1]. وحصلت بعض الأخطاء الخطيرة مثل أن بعض الطبعات ذكر فيها اسم دار الطليعة ومكان الطباعة الكويت في ذيل الغلاف، فعمد الإخوان إلى قص الاسم بالموس من جميع النسخ، والسبب في حرصهم على عدم ذكر اسم المطبعة أو مكان الطباعة هو أنهم حريصون على تأمين الطرق البرية الترابية بين الكويت والسعودية عن طريق حفر الباطن التي يسلكها مهربو الرسائل من الكويت إلى داخل المملكة، وكذلك مرور الإخوان الذين لا يحملون أوراقاً ثبوتية أو جوازات إلى الكويت أو

(١) نسب رفعت سيد أحمد في كتاب **رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للمسجد الحرام** مجموعة من الرسائل لجهيمان عن عمد وليست له ولا أعلم السبب في إصراره على ذلك علماً أنه لم يعرف رسالة «رفع الالتباس» وأوردها شاكاً بها، كما فاته رسالة مهمة لم يذكرها لأنه لم يعرفها وهي رسالة «دعوة الإخوان كيف بدأت وإلى أين تسير» والرسائل التي نسبها رفعت سيد أحمد لجهيمان وليست له هي:

- «بيان الشرك وخطره ونسبت لأحد طلبة العلم وهي لمحمد الصغير وهو يمني أي المؤلف»؛
- و«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله حسن بن محسن الواحدي يمني الجنسية»؛
- و«مداخل الشيطان لإفساد القلوب ونسبت لأحد طلبة العلم وهي لمحمد الصغير يمني الجنسية»؛
- و«البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل محمد عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم)».

العكس وكانت الأغلبية العظمى من الإخوان قد أتلفوا أوراقهم الثبوتية لتعصبهم ضد الصور ولموقفهم من الأنظمة القائمة، إذ يرون أن وضع الحدود وتقييدهم بجوازات المرور من حكم الطاغوت، ومما لم يأمر به الله، والأَوْلى بالمسلم عدم الامتثال له، بل الأَوْلى مخالفته. وبعد مدّة جاءني عقاب العتيبي وقال لي إن مطلق بن سهل يريد أن يراك، وفعلاً توجهت لساجر مع أحد الإخوان ووصلت إلى ساجر وتوجهت إلى مزرعة مطلق، وهناك وجدت عنده أحد الإخوان المشكوك بانتمائهم للإخوان وأنه مدسوس عليهم من قبل المباحث وكان عند مطلق مع عائلته، أظن أن اسمه أحمد وأخذني مطلق على جنب وأسرّ لي أن جهيمان يريد أن يراني وسنرتب لك اللقاء به في ما بعد. هو الآن غير موجود حقيقة كنت أعلم ان سبب طلب مطلق لي هو جهيمان ولكنّي لم أسأل لمقتضيات السرية والكتمان، وبعد ليلتين أيقظني مطلق من النوم وكانت الساعة الثانية تقريباً وقال لي تعال. وذهبت معه في الجمس لبيت عقاب وفي الحوش الخلفي وجدت عقاب وعيد الشابحي وحامد الأحمدي يتسامرون، وبعد السلام جلست معهم نتجاذب أطراف الحديث، وبعد ساعات جاء جهيمان. وبعد السلام والتحية دخلنا إلى إحدى الغرف الكبيرة وجلسنا على بساط وكانت الغرفة مليئة بأكياس حمراء إلى سقفها ظننتها أولاً أكياس بصل وبعدها علمت أنها رسالة «رفع الالتباس» أول رسالة يطبعها جهيمان ووجدت أمام جهيمان نسخة منها وأختام بمقدار السطرين

كان يراجعها ثم قال لي إن هذه الرسالة قد قرئت على الشيخ عبد العزيز بن باز وقد أضاف لها فقرة بعد طباعتها، فرأوا أن يضيفوها في المكان المقرر لإصرار الشيخ عبد العزيز بن باز عليها لهذا صنعت أختام بهذه الفقرة لأنه ليس من السهل إعادة طباعتها فجلست أتحدث معهم وأختم هذه الفقرة في حاشية النسخة الموجودة أمامي. وقال لي جهيمان من الضروري أن تعتمر وتحثّ الإخوان في الرياض على العمرة في رمضان هذه السنة لأنك ستستلم الكمية التي ستوزع في الحرم ليلة السابع والعشرين وستجد الإخوان أمامك، ثم استأذن وانصرف. وبعد ذلك جاء مطلق وأخذني لمزرعته ومنها عدت للرياض وأخبرت بعض الإخوان الذين أثق بهم بتوجيهات جهيمان، واعتمرت في رمضان ووجدت الإخوان قد استأجروا عمارة كاملة بعوائلهم وفي الدور الأرضي وجدت كمية كبيرة من أكياس البصل الحمراء في إحدى الغرف، وحينما حلّت علينا ليلة السابع والعشرين أخذت الكمية المتفق عليها للحرم، وكان هناك كمية ذهبت للطائف وأخرى ذهبت لجدة وكمية ذهبت للمدينة مبكراً، ووزعت الكمية على الإخوان الذاهبين للحرم وخزّنّا كمية في الخلوات مبكراً وفي الركعة الأخيرة قمنا بتوزيعها أمام المصلين، وفي التوقيت نفسه تم ذلك في جميع أنحاء المملكة وكانت تحمل اسم جهيمان الصريح والغريب أن هناك شباباً تبرعوا بتوزيع الرسالة وأنا أحمل كميات منها وهم ليسوا من الإخوان وأكاد أجزم أن هناك مجموعة

ساعدت في التوزيع، وهي تجهل ماذا توزّع ومن هو جهيمان. وبعد صلاة الفجر جلست في الحرم، فوجدت الناس يتصفحونها ثم عدت للرياض. وكتب الشيخ بديع بن إحسان الله الراشدي رداً على الرسالة يقول فيه إن ملة إبراهيم ليس فيها التباس، أظنهُ نشره في جريدة الندوة فانفض من حوله الإخوان، وهذا مما سرع بعودته لوطنه الباكستان. في هذه الفترة انتظمت أكثر في دروس الشيخ عبد العزيز بن باز وأصبحت أشعر أن أمر الإخوان في طريقه إلى الفوضى، فحاولت أن أنظّم نفسي. وفي أحد الأيام مرّ علينا في الرياض أحمد الزامل وطلب مني مرافقته إلى الطائف وكان معه عائلته واستأجر بيتاً في الطائف وذهبت معه من غير أن أستفسر، لأنني أعلم أن جهيمان هو من طلبني، وذهبت معه وهناك لم ألتقِ بجهيمان إلا بعد ثلاثة أيام، وبعد السلام عاتبني جهيمان عتاباً شديداً وقال لي ماذا تريدون بالشيخ ابن باز؟ هذا الشيخ قد فقد بصره وبصيرته وأنتم تلتفّون حوله؟ هذا من شيوخ آل سعود، وقد حذّرنا منه الشيخ الألباني في جلسة خاصة مشافهة حيث قال: «إن الشيخ ابن باز من الممكن خداعه بسهولة من قبل من حوله فلا تعوّلوا عليه في القضايا التي تمسّ بأمن الجماعة وهو سبق أن ورّطنا». كنت أسمع هذا الكلام وأنا لا أجرؤ على مدافعته أو الرد عليه وانفضّ اللقاء بعد يومين وعدت إلى الرياض وعدت إلى الدراسة على الشيخ مع مجموعة من الشباب منهم خالد الشريمي. وفي أحد الأيام التقيت بأحمد

الزامل فقال لي: جهيمان يقول لك لماذا لا زلتم تدرسون على ابن باز؟ فسكتّ. ولعل هذا الموقف مني ومن مجموعة من الإخوان من الذين التفوا حول الشيخ ابن باز كان في صالحنا في ما بعد. إذ لم نقتنع بفكرة المهدي وما تبعها بعد ذلك من تبعات منها حمل السلاح في الحرم وإطلاق النار، ولذلك حديث آخر. بالرغم من هذا الضغط الذي مورس ضدي بسبب دراستي على ابن باز إلا أن علاقتي بالإخوان لم تنقطع، بل توطدت ولم أورّط نفسي في توزيع الرسائل التي صدرت بعد ذلك، الأربع رسائل أولاً ثم السبع رسائل، ولم يعد جهيمان يطلبني إلى أن قال لي أحد الإخوان إنهم سيذهبون إلى المدينة فهل ترغب بمصاحبتنا؟ هذه المرة لم أشعر أن هناك ترتيباً للقاء جهيمان، وفعلاً سافرنا إلى المدينة، وعند وصولنا إلى جبل طمية فضّل أحد الإخوان أن نستريح في ظلّ الجبل قليلاً. وفعلاً نزلنا وأنزلنا ما نجلس عليه وعملنا الشاي وإذا بوانيت ياباني يقف عندنا وإذا بأحمد المعلم ينزل منه وكان مطلوباً وكنت أظنه في الكويت، وبعد السلام أخبرنا أنه وبعض الإخوان نازلين خلف الجبل. وحينما صعدنا إلى مكانهم وجدنا جهيمان ومحمد عبد الله القحطاني وسلّمنا عليهم وشعرت وقتها أن جهيمان ليس كعادته معي من حيث الانبساط والمجاملة، وكنت أعلم السبب وكانت طريقته في توجيه الكلام لي غير مباشرة وهي الطريقة المتبعة لديه إذا أراد أن يبكت أفكار أو مواقف معيّنة فإذا اعترضت قال لك: أنا لم أوّجه الكلام لك وهكذا يستفزك من غير أن

تستطيع الرد فأنت تعلم أنه يقصدك ومن يوجِّه إليه الكلام يعلم ذلك، وبعض الحضور، وهذا المسلك هو الذي أبعد سليمان بن شتيوي عن الجماعة. كانت المجموعة قد تجمّعت حول جهيمان من أجل صياغة رسائله التي سيطبعونها وكان المسؤول عن الصياغة محمد عبد الله القحطاني وأحمد حسن المعلم وهاذان الاثنان هما من كان يصوغ لجهيمان رسائله، وهذا معروف، فكلاهما شاعر وكلاهما متمكن من اللغة العربية نوعاً ما، على العكس من جهيمان الذي كان ينبذ تعلم النحو والصرف والإملاء مبكراً بل كان ينقل هذه النبذ لمن حوله، وكثيراً ما قيل إن جهيمان من خريجي الجامعة الإسلامية أو إنه من طلاب دار الحديث في المدينة المنورة والحقيقة أن جهيمان لم يدرس أكثر من الرابعة الابتدائية وسبب دراسته لها هو أنه كان يطمح بترقية في مهنته كسائق وايت في الحرس الوطني هذه هي الحقيقة وما عدا ذلك فتخرصات وجميع من استند إلى ذلك يقول كيف معه الرابعة الابتدائية ويكتب هذه الرسائل؟ حقيقةً هذه الرسائل كانت تملّى كأفكار إملاءً حتى إن جهيمان لم يكن يدّونها كمسودات، وذلك لكرهه الكتابة ولرداءة خطه، وكما قلت كان يمليها كأفكار، ومن ثم يقوم بصياغتها أحمد المعلم أو محمد عبد الله القحطاني. ومما ساعد جهيمان أنه يتمتع بذاكرة حديدية يستطيع أن يستحضر بها إحالاته ونقولاته حال حاجته إليها.

(١٣)

في عام ١٣٩٩هـ كثر الحديث عن تواتر الرؤى وأننا في آخر الزمان. طبعاً هذا الخطاب كان حاضراً وبشكل ملفت للنظر قبل هذا التاريخ بمدة، وكما أشرت سابقاً أن مجالس الجماعة قبل الاعتقال الأول كان يتخللها أسئلة عن آخر الزمان وعن تأويل الرؤيا التي يراها البعض. وبما أن الجماعة كانت على يقين أننا في آخر الزمان ودعمت الأخبار التي تشير إلى ذلك فقد كانت تصعِّد خطابها نحو سيناريو مفترض، وهو أننا في آخر الزمان، وفي آخر الزمان يخرج المهدي ومن علامات خروجه تواتر الرؤيا حوله. وفعلاً شكّلت هذه القضية هوساً جمعياً بين أفراد الجماعة. يجب هنا أن نسلط الضوء على فكرة العلامات أو الفتن وأشراط الساعة عند جهيمان. يقول جهيمان في مستهل رسالته: «الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة» واسم هذه الرساله هو الترتيب أو سيناريو الأحداث التي ستقع والذي سيفصّل فيه جهيمان وهو ترتيب مهم كما سيتضح لنا بعد ذلك. يقول جهيمان: «... **بذلت وسعي في جمع أحاديث مما صحّ من أحاديث الفتن وأشراط الساعة لعظم الحاجة إليها اليوم، وقمت بترتيبها حسب أزمنة وأمكنة وقوعها، مع الحرص على التوفيق بين النصوص والجمع بينها وإخراجها في صورة متكاملة لتتم بذلك الفائدة...**»[٢] ثم يقول جهيمان

---

(٢) جهيمان بن سيف العتيبي، «رسالة الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة،» في: **مجموع السبع رسائل**، ص ٣.

معللاً سبب جمعه: «... **وقد سبق إلى الجمع والتأليف في هذا الموضوع... كثير من أهل العلم، ولكنني لاحظت فيما كتبوا أمرين هامين:**

الأمر الأول: عدم الاقتصار على الصحيح من ذلك بل جمعوا بين الصحيح والضعيف، ومعلوم أن ديننا لا بد أن يصح ثبوته لنعتقده ونعمل به.

الأمر الثاني: عدم التوفيق والربط بين دلالتها وتطبيقها على الواقع الذي وردت فيه.

لذلك تجد القارئ في تلك الكتب يجد فيها شيئاً من التعارض، بل في بعض المواضع لا يكاد أن يفقه مادلت عليه ـ مع أنهم يُعذرون في عدم معرفة ذلك لأنهم لم يروا ما رأينا...»[٣]. كنت وقتها معهم جسداً ومن دون قناعة فكرية بما أصبح يتردد، وازداد الأمر سوءاً بالنسبة إليّ حينما طرحت مسألة المهدي المنتظر وتحديده بمحمد بن عبد الله القحطاني وما يتردد من حث بعضهم بعضا على تملك السلاح وحيازته لأمر افترضوا حتمية وقوعه لا محالة وامتزج القدري بالمسلكي حتى صعب التفريق بينهما عندهم. وهكذا سارت المجموعة نحو الكارثة كانت أجواء الجماعة في تلك الفترة ملبّدة بأفكار الخلاص والمهدي والمنامات والرؤى. وقد التقيت بمحمد بن عبد الله القحطاني في تلك الفترة وسألته هل أنت مقتنع فعلاً أنك المهدي المنتظر فقال لي:

---

(٣) المصدر نفسه، ص ٣.

أنا لم أكن مقتنع أولاً بما كان يقوله الإخوان من أنني المهدي المنتظر وبعد مدة اعتزلتهم ثم استخرت الله أكثر من مرة حول ذلك. وانشرح صدري لذلك في ليلة. فقلت له من أول من أشار إلى أنك المهدي، فقال لي: هذه الفكرة كانت موجودة عند بعض الإخوان في مسجد الرويل قبل أن ننضّم للإخوان وكانوا يرددونها أحياناً وكنت أبتسم في داخلي منها وكنت أعتبرها مزحة حتى تواترت الرؤى فأخذتها على محمل الجد وكما نرى يبدو أن مسألة المهدي عندهم بدأت مزاحاً وانتهت إلى جِدٍّ جرَّ إلى كارثة. وقد سألت سعد بن عبد الله القحطاني عن تحديد محمد عبد الله القحطاني وأنه هو المهدي وكيف يكون هو المهدي وهم من قبيلة قحطان ومن شروط المهدي أن يكون قرشي من نسل الرسول أي (من أحد البطنين) فقال لي إننا أصلاً لسنا من قحطان القبيلة وإننا من قحطان حلفاً وإن جدَّهم الأكبر من أشراف مصر قدم مع الأتراك في حملات محمد علي واستوطن جازان ثم عسير وإنهم كانوا يعرفون ببيت التركي..، في هذه المرحلة بحثت عن مصدر للرزق فعملت في محل لبيع الأواني المنزلية وبدأت علاقتي بالإخوان تخبو أو تبرد ولم أعد أهتم باجتماعاتهم أو أخبارهم وحافظت على علاقتي بدروس الشيخ عبد العزيز بن باز وعلاقتي بخالد الشريمي. وفي أحد الأيام بعد موسم الحج التقيت بأحد الإخوان في المسجد الجامع وأخبرني عن اعتزام الإخوان دخول الحرم في ١/١/ ١٤٠٠هـ وأنهم سيبايعون المهدي المنتظر محمد بن عبد الله القحطاني بين الركن والمقام، وسألني: هل ستدخل معهم؟ فأخبرته

بأنني غير مقتنع بقصة المهدي المنتظر. فقال لي إن الإخوان جميعهم قد حجوا هذا العام ورابطوا في مكة في انتظار هذا الحدث. وافترقنا كنت أعلم أن هناك مجموعة من الإخوان غير مقتنعين بقصة المهدي ودخول الحرم بالسلاح مثل شيخي علي المزروعي وحامد الأحمدي وفيصل محمد فيصل وعبد الله الحربي وقد حدث مع كل من فيصل وعبد الله حوادث غريبة، أما فيصل فقد سمعت منه مباشرةً كيف دخل الحرم مع الداخلين وهو الذي لم يقتنع بقصة المهدي ولا بحمل السلاح يقول فيصل: كنت قادماً من المدينة ومررت بمزرعة علي الحضيني لتعبئة ماء ولراحة العائلة، والتقيت بعلي، وبعد السلام جلسنا نحتسي القهوة وأخبرته بموقفي من المهدي وحمل السلاح في الحرم، ثم دخل إلى الداخل وعاد بعد برهة ثم قال لي: هل تريد أن تلتقي بجهيمان فوافقت. وفعلاً خرج علينا جهيمان بعد برهة وبعد السلام جلسنا نشرب الشاي ثم قال لي جهيمان أنت يا فيصل رجل، الكلُّ يقدّرك ويسمع منك وما كان لك أن تتخلف عن الإخوان فقلت له أنت تعلم يا جهيمان أنني سبق أن قلت لك إن الله لم يشرح صدري لهذه القضية خصوصاً وأن فيها مخالفات شرعية كثيرة، وأنا عندي الصورة ملتبسة لم أستطع أن أميز فيها بين الحق والباطل. فقال لي جهيمان وهو يضرب على صدره تعال وعليّ. وهكذا ذهبت بعائلتي إلى نجران وعدت ودخلت الحرم وبايعت محمد عبد الله. لم أطلق النار إلا في الأيام الأولى ثم لما فقدنا محمد عبد الله عدت للخلوات تحت وكلمت جهيمان عن فقدان المهدي

وجاءنا خبر من بعض الإخوان أن محمد عبد الله قد قتل فغضب جهيمان وقال إن محمد عبد الله لا يمكن أن يكون قد قُتل لأنه المهدي المنتظر والصحيح أنه حصر في مكان ما من الحرم[٤] واتهم الإخوان الذين شهدوا قتل محمد عبد الله بعدم اليقين بمهدية محمد عبد الله وأنهم يسعون إلى الإرجاف بين صفوف الإخوان وهكذا لم يجرؤ أحد بعد ذلك على تكرار القول بمقتل المهدي أو أسره خشية التهمة.

وسألت فيصل عمّا كان يعمله في القبو فقال لي كنت معتزلاً في زاوية من الخلوة مع الجرحى والمصابين. والغريب أن الإشاعات والرؤى كانت تتواتر بيننا بشكل غريب مثل خبر الخسف في الجيش القادم من تبوك الذي سألتك عنه وكان فيصل قد سألني أول دخولي إلى الزنزانة معه عن صحة خبر الخسوف بالجيش القادم من تبوك فأخبرته عن عدم صحة ذلك، وأن أي شيء من الأحداث المرتبطة بخروج المهدي المنتظر لم يقع منها شيء. فاستغرب ذلك وقال: كان هناك في الخلوات كل يوم رؤيا أو خبر حتى إن جهيمان هو الذي بثّ خبر الخسف بالجيش وقال أن إحد الإخوان سمعه من راديو القوّات المحاصِرة لهم في موقعه المتقدم للحراسة مثل هذا الكلام ليس له أساس من الصحة طبعاً وغالباً هو مزيج من الكذب والخطأ والهلوسة، أمّا عبد الله الحربي فحكايته

---

(٤) لقد كان هناك مجموعة من الإخوان قد رفضت فكرة قتل المهدي المنتظر محمد عبد الله القحطاني أو موته حتى بعد فشل حادثة الحرم وفشل فكرة المهدي وتعرّف أخويه عليه سعيد وسعد وابن أخته بين الجثث، وقد كان بعضهم يقسم أنه لم يمت مثل عبد الرحمن حمودة وهو فلسطيني، ويوسف أكبر.

أعجب من حكاية فيصل؛ كان عبد الله معتزل الإخوان لعدم قناعتِه أيضاً بمهدية محمد عبد الله وحمل السلاح في الحرم، فاعتزل الإخوان قبل دخولهم الحرم بشهور، ولما وقع اقتحام الحرم أخذت عبد الله الحمية وقرر أن يقوم بحركة لتخفيف الحصار على الإخوان من خلال القيام بعملية لاقتحام الحرم النبوي مشابهة لعملية اقتحام الحرم المكي، فذهب لساجر بحثاً عن أعوان بين قبيلة جهيمان واصطدم بنقطة تفتيش وطلبوا منه التوقف فعصى الأوامر والإنذارات المتكررة وهرب منهم وحاول مقاومتهم بإطلاق النار عليهم من السلاح الموجود بحوزته. وبعد إنذاره المتكرر تبادلت معه قوّات الأمن إطلاق النار فوقع قتيلا وقد أخبرني بقصته أحمد العسكري وهو يمنيّ من الإخوان يعمل في الزراعة في ساجر ولم يدخل الحرم، وكان معه في هذه الواقعة وكان يحثّه على الاستسلام إلا أنه رفض ذلك.

ـ الدخول إلى الحرم

قبل الخوض في آلية دخولهم إلى الحرم يجب أن أشير أن مجمل ما سأرويه هنا أنا أحكيه عن فيصل محمد فيصل وبعض من سجنت معهم ممن دخلوا الحرم.

علمت بنية الجماعة في دخول الحرم والاعتصام به في محرّم مصادفةً إذ التقيت أحدهم في الرياض بعد خروجي من المسجد الجامع في العقد الثاني من شهر ذي الحجة، وبعد السلام سألني: هل ستذهب لمكة ومبايعة المهدي؟

فأخبرته بعدم قناعتي بمهدية محمد عبد الله القحطاني، فأخبرني أن الإخوان قد تواصوا فيما بينهم على التجمع في مكة ودخول الحرم فجر صباح ١/ ١/ ١٤٠٠هـ وسيبايعون المهدي بين الركن والمقام.. بعد ذلك وقع الحادث في التاريخ المذكور وحدث لفظٌ حماسي بين المجموعة التي تقاعست عن دخول الحرم بسبب عدم قناعتها في قضية المهدي المنتظر، وكانت الصحف هي المتوفرة لديّ كمورد وحيد لحادثة الحرم. وطالت أيام القتال داخل الحرم وخشيت أن أتصل بأحد من الإخوان فيلقى القبض عليّ وبقيت على هذه الحالة حتى إلقاء القبض عليّ في ١٥/ ١/ ١٤٠٠هـ. وبعد التحقيق معي وأخذ إفادتي نقلت إلى سجن بُني حديثاً على طريق مكة ـ المدينة، وهناك وضعت في غرفة، وكان معي فيها فيصل محمد فيصل اليامي وقد فوجئت بوجوده لمعرفتي المسبقة بموقفه من تحديد المهدي بمحمد عبد الله القحطاني، وقد سبق أن أشرنا إلى كيفية دخوله الحرم ولنكمل ما حدثني عنه، يقول: ذهبت بأهلي إلى نجران وعدتُ إلى مكة وكان الإخوان على قدم وساق في التحضير لدخول الحرم فجهزوا وايتين (سيارتين خاصتين بنقل الماء) والسبب في أنها سيارات نقل ماء أن هناك في بدروم الحرم بئر يشرب منها بعض أهل مكة، فمن المعتاد أن تقف هناك سيارة أو سيارتان في البدروم تنتظر دورها في تعبئة خزانها. المهم أن الإخوان ملأوا إحدى السيارتين بتمر والأخرى بالسلاح والذخيرة كما أنهم ملأوا خزانات الوقود الرئيسة والاحتياطية في الوايتين تحسباً لكل طارئ، علماً أن

بعض الإخوان من أهل مكة قد أدخلوا بعض قطع السلاح الخفيفة وخبأوها في أكثر من خلوة من خلوات الحرم الموجودة في البدروم قبل موعد الاقتحام بأيام وكانت الخطة تقضي بأن يدخل السلاح بثلاث طرائق يتسلسل استعماله زمنياً. هكذا تدخل المجموعة الأولى وهي بسلاحها الفردي المصطحبته معها من خارج الحرم أو الحاصلة على بعضه من داخل الحرم والمخبأ في الخلوات، ومهمتها تأمين الساعة الأولى ويدخل الوايتات في الساعة نفسها ثم تدخل الجنائز الوهمية محمولة على أعناق الإخوان وكان أكثرها جنائز نساء والسبب أن جنائز النساء مقببة فلا تصف ما تحتها كما إنها تحمل أكثر وأدخلت الجنائز الحرم قبل التكبيرة الأولى ووضعت في مكان قصيّ في الحرم بعد التكبيرة الأولى وتم الأمر هكذا. قام الإمام الشيخ محمد السبيل بالتكبيرة الأولى وكان الإخوان قد وزعوا عناصرهم على جميع أبواب الحرم بحيث إن كل باب كان عنده عنصر أو عنصران.. يخبرني أسامة عوّاد إبراهيم القوصي وهو مصري في السنة النهائية في كلية طب القاهرة وقدّم مساعدة طبية للإخوان داخل الحرم وهو ممن دخل الحرم وبايع المهدي أن الإخوان بدأوا في إغلاق أبواب الحرم بمجرد بدء الإمام بقراءته يقول: «كنا نسمع إغلاق أبواب الحرم ونحن خلف الإمام نصلي».

وهنا يخبرني أحدهم أنهم سمعوا إطلاق رصاصة، واتضح في ما بعد أن مطلقها أحد الإخوان بسبب مشادة بينه

وبين أحد حراس الأبواب غير المسلحين وقتها، وأن هذه الرصاصة قد ارتدّت على مطلقها فقتلته. تنوقلت هذه الواقعة بين الإخوان لأن هذا الرجل سمي أول شهيد في حادثة الحرم[٥] يخبرني أحد الإخوان أنهم سمعوا أصوات تكبير من بعض الإخوان المتحمسين أثناء الصلاة.. ولا أدري هل هذا التكبير إشارة لأمر متفق عليه بينهم أم إنها جاءت عفوية بعد أن سلّم الإمام وقام ليصلي صلاة الميت بادرت مجموعة من الإخوان إلى الميكرفون وسيطروا على الوضع وسط هتافات التكبير والحمد وحاول الشيخ محمد السبيل إمام تلك الفترة أن يعظهم فلم يسمعوا له بل اقتيد هو وبضعة عساكر إلى إدارة الحرم حيث تحفظوا عليهم في إحدى الغرف، وبدأ توزيع دفعة من السلاح ثم بدأ خالد اليامي خطبته المكتوبة والتي سرد بها أهدافهم من اقتحام الحرم ومبرراتهم حول ذلك كما هو مثبت في نصها الذي أوردناه في الملحق الرقم (٢) [خطبة الحرم] وكان جهيمان يقاطع الخطبة ويعطي توجيهاته لأتباعه وتوزيعهم على مواقع معينة داخل الحرم أو يعلق على موقف معيّن، وبعد ذلك وزع السلاح والذخيرة على الموجودين في صحن الحرم، ووقف محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المنتظر) بين الركن والمقام كما ورد في نص حديث الرسول (. . .) فبايعه أولاً جهيمان ثم بايعه باقي الإخوان الموجودين حوله. ثم قام نور الدين بن بديع الدين

---

(٥) كما إنه والد زوجة محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المنتظر) ووالد زوجة سعيد أخو المهدي ولا أذكر اسمه إلا أنه من عسير (عسيري).

بن إحسان الله شاه الراشدي بترجمة الخطبة للأوردو لمجموعة من الباكستانيين. قال لي أحد من شهد هذا الموقف إن نور الدين كان يخطب في الباكستانيين مشهراً مسدساً يلوّح به في الهواء، وبعد أن أنهى كلامه قامت مجموعة من الباكستانيين ممن خطب بهم نور الدين بالهتاف: «مهدي.. مهدي.. مهدي».

وتمت البيعة للمجموعة الموجودة في صحن الحرم، ثم قيل لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي) إن هناك بعض الإخوان لم يبايعوا بسبب أنهم متمركزين في مواقع دفاعية وليس من المصلحة أن يتركوا مواقعهم فقرر محمد عبد الله المرور عليهم في مواقعهم وأخذ البيعة منهم وكان بعضهم في المنارات وبعضهم في المسعى وبعضهم فوق سطح الحرم وعند المداخل، وفعلاً تم ذلك ومر محمد عبد الله عليهم وأخذ البيعة منهم وحثهم على الصبر في القتال.

وحصل في هذا الوقت قنص من المنائر على القوات الموجودة في الخارج فردّت عليهم القوات واستعر الرمي والقنص وحاولت مركبة مدرعة الدخول من المسعى من جهة المروة ففجرت بعبوات مولوتوف مكونة من زمزميات فخارية كانت تستعمل في السقاية وبنزين وفتيلة من القماش[٦].

---

(٦) كل هذه المواد كانت متوافرة وقتها في الحرم، فالزمزميات الفخّارية كانت هي الأداة المنتشرة والمستعملة في سقاية الناس. ماء زمزم والبنزين كان موجود في خزانات الصهريجين اللذين استعملا في إدخال التمر والسلاح، أما القماش فمتوافر بكثرة.

ووضع متاريس مكونة من السجاد المطوي في المسعى وفي بعض الأماكن وأمن بعض الخلوات بالماء والتمر والذخيرة لتكون مكان إمداد وملجأ ومكان راحة في هذه الفترة، وأعني الثلاثة الأيام الأولى كان محمد عبد الله (المهدي) يمرّ خلالها على المرابطين في مواقع الدفاع ثم انقطعت أخباره عنهم وذكر أحدهم لجهيمان أن محمد عبد الله قد أصيب في المسعى، وذكر له آخر أنه قتل في المسعى، فغضب جهيمان وقال لهم: إن المهدي لا يمكن أن يقتل قبل أن يحقق رسالته التي من أجلها اختير كمهديّ هو لم يقتل وإنما حُصر وشاع بين الإخوان أن المهدي قد حصر في مكان ما من الحرم. يقول فيصل محمد فيصل : بعد نهاية اليوم الثالث لم يشاهد أحد محمد عبد الله (المهدي المنتظر) وتضاربت المعلومات حول قتله وإصابته وحصره ومنع جهيمان من يردد معلومة قتله من ترديدها، وتجادل معي أي فيصل محمد فيصل حول ذلك خصوصاً وأنني طلبت منه التسليم وعدم إطلاق النار بسبب أن العامل الأساسي وهو المهدي مجهول المصير، وأننا في الحرم ولا يجوز رفع السلاح فيه، فما بالك بإطلاق النار؟ فغضب مني وقال لي إن هذا الكلام يبث روح الهزيمة بين الإخوان والمهدي لم يقتل ولن يقتل حتى تتحقق باقي العلامات المنصوص عليها ونحن الآن ننتظر العلامة الثانية وهي الخسف بالجيش القادم من تبوك لكي يقاتلنا، والمهدي حصر في مكان ما من الحرم وسنفكّ حصاره، يقول لي فيصل: وعندها رميت سلاحي وأويت لإحدى الخلوات منتظراً الخسف بالجيش

القادم من تبوك. يقول لي فيصل: بعد حديثي مع جهيمان والذي تم بعد اليوم الثالث بيومين أتانا جهيمان وأخبرنا أن الرؤيا قد تواترت بأن الجيش القادم من تبوك قد خسف به وبعد ذلك بيومين أتانا أحد الإخوان وهو مستبشر، وقال: إن فلان من الإخوان وهو من أهل الصدق والورع وكان مرابطاً في الخطوط الأمامية سمع في الليلة الماضية الراديو الموجود عند العسكر وكان صوته واضحاً أن الجيش القادم من تبوك لمحاربة الإخوان المعتصمين بالحرم قد زُلزلت الأرض من تحته وخسف به، وأن خسائرهم كبيرة فكبّر بعض الإخوان.. وكان السبب في تطرقنا لهذا الموضوع أنا وفيصل أنه سألني حالما رآني معه في الزنزانة عن صحة خبر الخسف بالجيش القادم من تبوك، فنفيت ذلك له وأخبرته عن استقرار الأوضاع وأن الحياة عادت إلى طبيعتها في مكة نفسها وذلك بعد شهر محرّم الحرام ومما فهمته من مجموعة منهم أنهم كانوا يسمعون يومياً بأحلام أو بأخبار كانت تروج بينهم وعليهم، كلها تعزز قضية المهدي أو الخسف بالجيش أو تحثّ على الصبر والثبات. وأنا أظن أن المجموعة أصيبت بحالة من الهوس الجمعي أو كانت تحت تأثيره خصوصاً وأنهم في أواخر السبعة أيام قد حصروا في خلوات الحرم، وكان جهيمان يخرج بمجموعات من أعوانه فيطلقون النار عند أبواب القبو. وكما انحسر القتال من المنارات والسطح إلى الدور الثاني ثم انحسر إلى الدور الأول إلى البدروم ومن مجمل البدروم إلى أجزاء متفرقة من غرف البدروم، وفي اليوم الأخير حصروا في غرفة أو غرفتين وفتح عليهم

فتحات من السقف ورموا عليهم قنابل مسيلة للدموع وفي جميع مراحل المواجهات كانت مكبرات الصوت تناشدهم أن يستسلموا وأن يلقوا السلاح.

ـ أفكار جهيمان

كثيرا ما سئلت عن جهيمان بن محمد بن سيف الضان الحافي العتيبي فما قام به هذا الرجل من دخول الحرم بالسلاح في شهر محرّم الحرام وفي بلد الله الحرام وانتهاكه لحرمة الدم الحرام كل هذه المحرمات وضعته موضع التساؤل والاستفسار كما إنها وضعته موضع التقوُّل والتخمين وذلك بسبب أن جهيمان يكاد أن يكون شخصية مغمورة نسبياً وقد لا يكون معروفاً إلا عند القلة[٧] من المشتغلين في العمل الإسلامي وذلك قبل سنة ١٩٧٨م أما في هذا العام وما بعده فاسم جهيمان أصبح يتردد على كثير من أفواه المشتغلين في العمل الدعوي الإسلامي كإسلامي هارب من العدالة بسبب تأليفه للمنشورات، وهو مسلك جديد على النمط الدعوي المعارض والمتعارف عليه في البلد والمتمثل غالباً في الخطب في المساجد وانتشر اسمه بعد ذلك انتشاراً عالمياً بسبب حادثة دخوله الحرم، ولكن بقي المعروف منه هو اسمه فقط من غير تفاصيل تذكر مما أدى بسبب جهالتهم لحاله إلى الوقوع في الكذب والخطأ والتخمين.

---

(٧) باستثناء طبعاً جماعته التنظيمية «الجماعة السلفية المحتسبة» والتي كان يمثّل فيها رمزاً دعوياً وأحد مؤسسي الجماعة الفارض لأفكاره عليها بقوة.

نشأ جهيمان وترعرع في هجرة ساجر وهي إحدى الهجر التي أنشأها الملك عبد العزيز للإخوان[٨] وسجل في الحرس الوطني جندياً كقائد وايت ثم حاول أن يحصل على الشهادة الابتدائية لكي تساعده على الترفع الوظيفي كما قال لي ذلك بنفسه، وقال لي أنه ترك الدراسة وهو في الصف الرابع ابتدائي ثم دخل معهد دار الحديث القسم الابتدائي لفترة قصيرة جداً لا تتعدّى الفصل الدراسي الواحد ثم ترك الدار لعدم قدرته على المواصلة. خرج من الدار ساخطاً على المناهج وأسلوب التدريس مما كوّن لديه موقفاً عدائياً من الدراسة النظامية سينعكس في ما بعد، على سلوكه الفكري وتعلم القراءة منذ تلك الفترة، أما الكتابة فيكاد أن يكون أمياً فيها وقد اطلعت على كتابات جهيمان المبكرة وكانت عبارة عن خط غير مقروء إلا بمشقة بسبب سوء الخط ووفرة الأخطاء الإملائية واللغوية وبعض الكتب التي تملكها في مكتبته الخاصة عليها بعض كتاباته وتهميشاته وتعاليقه التي صب الكثير منها في الرسائل التي ألفها في ما بعد، إلا أن ما ساعد جهيمان كثيراً هو ذاكرته الحديدية وقدرته على الاستدلال لأفكاره، وجموده على ظاهر النص ويجب أن نشير هنا إلى أن جهيمان كان عزوفاً عن كل علم لا يستطيع هو التعامل معه بل كان كثيراً ما يعترض على علوم هي مكملة للعلوم الشرعية مثل علم النحو وعلم أصول الفقه بذريعة

(٨) يُقال أن هجرة ساجر نشأت سنة ١٣٣٣هـ الموافق تقريباً ١٩١٤م بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله.

مهمة في العقل السلفي وهي أن السلف الصالح لم يتعلم هذه العلوم. ومن الممكن أن يحتج عليك جهيمان أو أي واحد من الإخوان بالتقوى وأنها هي البديل عن تعلم هذه العلوم لقول الله تعالى **﴿واتقوا الله ويُعلمكم الله﴾** [البقرة: ٢٨٢]، بل قد أشار جهيمان إلى ذلك في رسالة «البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل» بقوله: «وكان الأعرابي يأتي من البادية يسأل عن الإسلام ويجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً واحداً، يخرج منه بما يدخل به الجنة ـ إن صدق ـ أخرج البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دويّ صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يسأل عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: «لا، إلا ان تطوَّع»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وصيام رمضان)، فقال: هل عليّ غيره؟ قال: «لا، إلا ان تطوع»، وقال: ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: (لا، إلا ان تطوع)، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق»، أو «دخل الجنة إن صدق».

فيا تُرى هذا الأعرابي كيف يتعلم الصلاة؟ يتعلمها بأن يصلى أمامه أحد الصحابة رضي الله عنهم، لأن الرسول

صلى الله عليه وسلم علمهم كذلك كما في قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلّي» [رواه البخاري]، يعطونه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المعدودة الواردة في شأن الزكاة والصوم في وقت يسير، وهب أنه قضى اليوم بكامله ليعرف كل هذا ويرجع إلى قومه عالماً بدين الله عز وجل يبلغه كما سمعه.

أقول: لو جاء هذا الأعرابي إلى متفقهة هذا الزمان؛ لهوّلوا عليه العلم ولكتموا عنه ما أنزل الله، ولقالوا له؛ أفعل كذا ولا تفعل كذا، ولعددوا عليه الأركان والواجبات والشروط والمبطلات والفروض حتى يحار، فإن لم يجد في ذلك هداية وبرهاناً وحجة، وقال؛ أريد ان أطلب العلم وأعرف ما الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قالوا؛ «هيهات! بينك وبينه مفاوز، لكن احفظ المتون، ثم أقرأ الشروح واحفظ القرآن واقرأ التفسير وتعلم اللغة والنحو و... و... و... ثم إذا أمضيت سنتين من عمرك في هذا، هناك يحق لك ان تستخرج المسائل من النصوص، وأما قبل ذلك فليس لك إلا ان تسير كالأعمى وراء ما يقول لك الشيخ! وإياك ان تحدث نفسك بأن تراجعه في شيء فضلاً عن أن ترد من أقواله شيئا»[٩]!!

وقد ناقش جهيمان مجمل شروط الاجتهاد وردها بإجراء ساذج كثيراً ما يتعلق به السلفيون فقال: «وأما الشروط التي

---

(٩) **الرسائل**، ص ٣٧٤. الإحالات هنا وما بعد ذلك على **رسائل جهيمان**، جمع رفعت سيد أحمد.

تجدهم يدندنون بها ويشترطونها فيمن يجوز له ان يتفقه في النصوص ويستخرج منها الاحكام، فإنها تحتاج إلى أدلة من الكتاب والسنة، ثبت في الصحيحين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، أيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، باطل، باطل، وإن كان مئة شرط».

وقد أوصلها بعضهم إلى عشرة شروط، وثلاثة عشر شرطاً، وغير ذلك»[١٠].

وهو ردّ أي شرط ليس في كتاب الله طبعاً (الجماعة السلفية المحتسبة) عموماً وجهيمان يستخدمون هذا الخطاب ليس فقط لتحري سبيل المؤمنين وإنما هو درعهم الواقية ضد أي تطوير أو تحسين، وهو علامتهم على تحري اتباع السنة النبوية من خلال الفهم العاميّ الساذج أو حتى البدوي للإسلام. يقول جهيمان: «والذي يفرّق بين طالب العلم والعاميّ، وبين من عنده آله ومن ليس عنده، لا يستطيع ان يضع حداً محدوداً للمرء حتى يكون طالب علم أو صاحب آلة، ويكفيه انه يتحكم في عباد الله ويقسمهم، ويفرق بينهم فيما أوجبه الله عليهم جميعاً، ولا برهان عنده من الله ورسوله، ولا يجد الفرق هذا كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف؟! والعامي يجب عليه ان يكون طالب علم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (طلب

---

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٧٧.

العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم ليستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في البحر) [أخرجه بن عبد البر في **جامع بيان العلم وفضله**، وهو صحيح].

إذاً فلماذا خلقه الله؟ إلا ليعبده بما شرع»[11].

هذه آلية التفكير السلفي وما زالت حيث نجد عندهم قوالب من الحجج الجاهزة مثل قولهم هذا شرط ليس في كتاب الله وسنة رسوله، وقولهم ما لم يفعله السلف ويسعنا ما وسعهم وبعضهم يطلق على المباح المحدث (بدعة) وكل بدعة ضلالة، أما المصالح المرسلة وتفعيل المصلحة وتحديث المفاهيم فليس في خطابهم لا من قريب ولا من بعيد بل تجد في خطابهم المنع للأحوط وتفعيل باب سد الذرائع الذي حرّموا من خلاله ما أحل الله.

إن من يدخل مكتبات الإخوان في الحرة الشرقية أو في مزارع ساجر وحايل سيجد أن نمطها واحد، فهي تحتوي أولاً على كتب الألباني وتخريجاته، ثم متون الكتب الستة أو العشرة، وبعض كتب شروح الحديث مثل **كتاب سبل السلام في شرح بلوغ المرام** وكتاب **فتح الباري شرح صحيح البخاري** وكتاب **نيل الأوطار** وكتب رجال الحديث مثل **تهذيب التهذيب** و**تقريب التهذيب** و**لسان الميزان** وجميعها لابن حجر العسقلاني و**ميزان الاعتدال** و**الكاشف** و**الضعفاء** وجميعها للذهبي وغير ذلك من كتب الرجال. هذه الكتب

---

(11) المصدر نفسه، ص ٣٧٨.

غالباً موجودة في مجمل مكتباتهم، بل إن تجميع الكتب أصبح شبه عُرف بينهم وأصبحت تجد بعضهم يتباهى بمكتبته مع انعدام علمه أو اهتمامه بطلب العلم. لقد كان بينهم من يجمع الكتب ذات الجلاد الأحمر وهكذا تجد مكتبته حمراء غالباً.. أما إذا انضم إلى الإخوان جديد فيبدأون بتعليمه أولاً طرق البحث في كتب الرجال وتخريج الأحاديث، وإذا كان هناك وقت قرأوا شيئاً من مصطلح الحديث، ولم أجد الجماعة يوماً إهتمت بتجويد القران تلاوةً وتقويماً بالرغم من كثرة العوامّ في هذه الجماعة ووضوح خطئِهم في تلاوة القرآن في مجالس الدعوة وعلى المنابر التي ارتقوها بعد ذلك. هناك نقطة يجب الإشارة إليها وهي أن جهيمان لم يرتقي منبراً في أي منطقة حضرية، وغالباً أنه يرتقي المنابر الموجودة في التكتلات السكانية البدوية، والسبب هو أنه يتحاشى المناطق التي من الممكن أن يُنتقد فيها لغوياً (نحواً وصرفاً و. . .) وحتى علمياً.

* * * *

النقطة الثانية هي موقف جهيمان من المدارس والدراسة الحكومية النظامية يقول محمد عبد الله القحطاني (المهدي): «ولا بد لنا هنا من التنبيه على فساد طلب العلم في هذه المدارس والمعاهد والكليات التي انخدع بها الكثير من الناس، ووجوه إبطالها كثيرة قد تحتمل رسالة مستقلة، ولكنها يكفى إنها تقوم أولاً؛ على معصية الله بالصور المحرمة، ويجد فيها الدارس من جلساء السوء، ولا يتعلم

فيها الدارس الكتاب والسنة إلا على طريقة التقليد المذموم، ثم لا تخلو من المنكرات، وتجد الدارس فيها يسكت عن إنكار المنكر ويداهن، وبسط الأدلة في ما ذكرنا يطول وتجدها منثورة في هذه الرسائل فارجع إليها، ثم انظر إلى ما يخرج به الدارس في هذه المدارس يتضح لك الأمر، إن شاء الله»[١٢].

طبعاً هذا الكلام هو رأي جهيمان وهو الكلام المنتشر في مجالس الإخوان وهو خطاب مصاحب لنشأة المدارس مبكراً في البلد حيث نجد هذه الحجج والحيثيات حاضرة عند جمع من أولياء الأمور وبعض طلاب العلوم الشرعية في الفترة المبكرة من نشأة المدارس للبنين، وكان بعض المشايخ يرون أن مدارس المعارف (المدارس غير المخصصة للعلوم الشرعية) تعلم الطلاب علوماً كفرية مثل كروية الأرض ودورانها وغير ذلك وكثير من حجج الإخوان في هذه المسألة مأخوذة عن علماء سبقوهم في هذا الطرح. هذا الكلام شجع كل من يرغب في الهرب من المدرسة والدراسة أن ينضم للإخوان لهذا تجد مع الإخوان جمعاً من أحداث الأسنان بل إن بعضهم هرب من أهله وانضم للإخوان مثل عبد العزيز السدحان (الشيخ المعروف) وقد

---

(١٢) «رسالة البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل،» انظر ص ٤٠٢ من: **رسائل جهيمان**. نسب هذه الرسالة لجهيمان خطأً رفعت سيد أحمد، والصحيح أنها لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي) كما وردت هذه الرسالة منسوبة لجهيمان في موقع أبي محمد المقدسي (التوحيد والجهاد).

أورد جهيمان في آخر رسالة (رفع الالتباس) قصيدة لمحمد عبد الله القحطاني[(١٣)] يشخص فيها حال عبد العزيز السدحان ودوافع هروبه من أهله يقول جهيمان :

«ونحب أن نختم هذه الرسالة بقصيدة نظمها أحد الإخوان، وهي حكاية لحال الشاب المؤمن الذي يهديه الله عز وجل إلى طلب العلم النافع ونصر السنة والصدع بها في هذا المجتمع الذي لا يحتفل بالسنة وتحقيقها ولا بالعمل بها، هذا المجتمع الذي كثرت فيه المغريات التي تصدّ الناس عن سبيل الله، فقال فيها:

عبد سرى في ليلة ظلماء
هرباً بتقواه من الفحشاء
هرباً من الفتن التي حاطت به
من فتنة السراء والضراء
عبد فتى في مستهلّ شبابه
عرف الهدى وطريقه بصفاء
قرأ القرآن تفهمّاً وتدبّراً
وكذا اهتدى للسنة الغرّاء

(١٣) لم ترد هذه القصيدة منسوبة إلى محمد عبد الله القحطاني (المهدي) والسبب أن محمد عبد الله لم يصدع بالعداوة للدولة جهرةً وقتها ولم يكن مطلوباً، بل أطلق سراحه من الاعتقال العام الأول لعدم ثبوت إدانة عليه.

ورأى حياة الصالحين سعيدة

بالخير في الإصباح والإمساء

فتشوّقت نحو السعادة نفسه

وغدا يهدهد شوقه بخفاء

حتى إذا التزم الهدى بعزيمة

لله خالصة من الأهواء

نادت به فتن الضلالة جهرةً

ودعته بالتزيين والإغراء

وتزيّنت دنياه في أثوابها

بمباسم ونواظر كحلاء

وغدت تغرّ الناس في إغوائها

حتى أضلّت أكثر الدهماء

ونشأ بمجتمع به اختلط الهدى

بقوى الردى والنور بالظلماء

والناس تأخذ منه ما يرضي الهوى

فإذا تعارض فهو في إقصاء

إن جئت بالحق الصريح تقيمه

وصدعت فيه بسنة بيضاء

لم يعرفوها قبل ذا من جهلهم
أو لم تـرد بـوصـيـة الآبـاء
قـامـت قـيـامـتـهـم ورُوِّع جمـعـهـم
ورأوك مـبـتـدعـاً وذا إغـواء
أتـريـد تـبـديـلاً لـديـن شـيـوخـنـا
وطـريـقـة الـعـظـمـاء والـوجـهـاء ؟
ومتى عرفتَ هدي النبي ودينه؟
بالأمس كنت فتى مع الجهلاء !
فإذا أقمتَ عليهم حجج الهدى
ودمـغـت بـاطـلـهـم بـدون خـفـاء
قـالـوا هـذاك مـنـفِّـر ومـشـدِّد
وإذا بـه استمسكت أنت مرائي
لما أتـاهـم بـالـهـدى هـذا الـفـتـى
نـفـروا نـفـور الحـمـر والحـمـقـاء
واسـتـهـزأوا بـسـلـوكـه وبـديـنـه
وعـن الـهـدى فـتـنـوه بـالإيـذاء
وإذا رأوه يـلـين أو طـمـعـوا بـأن
يـصـغـي لـهـم فـتـنـوه بـالإغـراء

فتن على درب الهدى تغري الفتى
وأضـرهـن لـفـتـنـة الـسـراء
فـتـضـايـقـت أخـلاقـه من حـالـه ـ
كـتـضـايـق الإيـمـان فـي الأهـواء
بغض الدراسة حيث كان قوامها
أخـلاط سـوء شاع في الجلـسـاء
بـذل الـنـصـيـحـة جـهـرة وبـخـفـيـة
لـذويـه والأصـحـاب والـزمـلاء
لا سـيـمـا فـي أهـلـه وقـرابـة
جـهـلـوا فـنـاداهـم بـلـطـف نـداء
لـكـنـهـم لم يـسـمـعـوا قـول الـهـدى
لما أتـى مـن أصـغـر الأبـنـاء
بـل حـاربـوه بـكـل أمرٍ مـنـكَـر
ورمـوه بـالـتـعـقـيـد والإعـيـاء
لم يـنـقـمـوا مـنـه سـوى أن قـالـهـا
«الـلـه ربي جـهـرتي وخـفـائـي»
زادوه ضـيـقـاً بـعـد ضـيـق فـالـتـجـا
يـشـكـو إلى المولى عـظـيـم بـلاء

ويقول يا رباه عبدك مؤمن

إني لأخشى فتنة الدهماء

إني أخاف من الضلال وإنني

أدعوك فاقبلني وضعف دعائي

أنقذ غريقاً في الدجى قد راعه

موج بهيج ووحشة الظلماء

الموج عاصفة الضلال ظلامه

إن الهدى متلبِّس بخفاء

كيف المقام وكيف لي أن أكتم الـ

حق الصريح لرهبة ورجاء

وبيانه لا بد فيه من السلا

ح العلم أَفْلَقَ حجة الجهلاء

قد شّرقت فتن وسرتْ مغربا

طلب الحديث بمكة الزهراء

أعني بذلك أولي الحديث وحزبه

العاملين بهديه الوضاء

****

هذي حكاية حال أصحاب الهدى

في غمرة الإغراء والإغواء

يا رب فاحفظهم وثبتهم على

نصر الهدى والسنة البيضاء

وارزقهم إحياءها ببصيرة

وارزقهم صبراً على الإحياء

واجعل لنا فيها نصيباً وافراً

يا رب وانصرنا على الأعداء

أعداء سنة أحمد من بدّلوا

كدراً هدى المختار بعد صفاء

يا رب واجعلنا من الناجين إن

عاقبتهم بزعازع النكباء

يا رب إحدى الحسنيين وعدتنا

يا رب واحشرنا مع السعداء

......

ثم انتقل جهيمان للعيش في المدينة المنورة ولكن لماذا المدينة المنورة؟ يقول جهيمان: اخترت سكنى المدينة لما ورد فيها من الفضائل ولأن الدجال لا يدخلها ويذكر أنه

كان يصاحب مجموعة من جماعة التبليغ واكتشف في ما بعد أن معهم أفراداً من الإخوان المسلمين صاحبوا جماعة التبليغ لكسب شباب لصالح جماعة التبليغ؟ هذا ما فهمته من جهيمان؟ وعن طريق هذه الجماعة قرر جهيمان مع المجموعة التي ذكرناها سابقاً تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة.. كان جهيمان وقتها يعمل عسكرياً في الحرس الوطني برتبة عريف، وعمله فيها قائد سيارة وايت وكان قبل أن يتدين يعمل في شركات مقاولات كقائد سيارة كنور أو كمهرّب بين الكويت والرياض كقائد سيارة فورد هذه الأمور حدثت في أوقات متقاربة، وعمله كعسكري هو بداية النفرة بينه وبين السلك العسكري خصوصاً والعمل في الوظائف الحكومية عموماً وسبب تركه العسكرية في ما بعد هو تأثره بكتابات الشيخ حمود التويجري خصوصاً في كتاب **الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين**، وهو كتاب شدّد فيه المؤلف النكير على من تشبّه بغير المسلمين بل يكاد أن يكون قد أخرجهم من الملة في بعض المواضع قال:

«فصل

النوع الثالث والعشرون: من التشبّه بأعداء الله تعالى الإشارة بالأصابع عند السلام. وكذلك الإشارة بالأكف مرفوعة إلى جانب الوجه فوق الحاجب الأيمن كما يفعل ذلك الشرط وغيرهم.

وكذلك ضرب الشرط بأرجلهم عند السلام ويسمون هذا

الضرب المنكر والإشارة بالأكف التحية العسكرية، وهي تحية مأخوذة عن الإفرنج وأشباههم من أعداء الله تعالى، وهي بالهزء والسخرية أشبه منها بالتحية، ولكن ما الحيلة فيمن غيرت طباعهم المدنية الإفرنجية وأثرت فساداً كثيراً في أخلاقهم وأفعالهم حتى صاروا يستحسنون من أفعال الإفرنج وغيرهم من الأعاجم ما يستقبحه أولو العقول السليمة والفطر المستقيمة. وهذه التحية المستهجنة من جملة المنكر الذي ينبغي تغييره والنهي عنه لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من تشبّه بقوم فهو منهم**» رواه الإمام أحمد وأبو داود وصحّحه ابن حبان وغيره من الحفّاظ.

وفي جامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «**ليس منا من تشبّه بغيرنا. لا تَشبَّهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف**».

وروى الحافظ أبو يعلى والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعل اليهود**» قال الهيثمي رجال أبي يعلى رجال الصحيح وقال المنذري رواته رواة الصحيح.

وفي رواية للبيهقي: «**لا تسلّموا تسليم اليهود والنصارى فإن تسليمهم إشارة بالكفوف والحواجب**» قال البيهقي إسناده ضعيف.

قلت له شاهد مما تقدم وما يأتي، وهو ما رواه النسائي بسند جيد عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا تسلّموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرءوس والإشارة**» وفي مستدرك الحاكم من حديث ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «**هدينا مخالف لهديهم**» يعني المشركين قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وقد رواه الشافعي في مسنده من حديث ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة مرسلاً ولفظه: «**هدينا مخالف لهدي أهل الأوثان والشرك**».

إذا علم هذا فقد اختص الله تبارك وتعالى المسلمين بأفضل التحيات وأكملها وأزكاها وهو السلام الذي علّمه الله تبارك وتعالى لآدم أبي البشر حين نفخ فيه الروح وأخبره أنه تحيته وتحية ذريته من بعده كما في الصحيحين والمسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله**» الحديث.

وقد شرع الله تبارك وتعالى لهذه الأمة أن يسلّم بعضهم على بعض بهذه التحية المباركة الطيبة فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**

وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]. وقال تعالى: **﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾** [النور: ٦١].

قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري يعني: فليسلم بعضكم على بعض.

وفي جامع الترمذي عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه قال: طلبت النبي (ﷺ) - فذكر الحديث وفيه - فقال يعني النبي (ﷺ): **«إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»**.

وفيه أيضاً عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي جري جابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي (ﷺ) فقلت: عليك السلام فقال: **«لا تقل عليك السلام ولكن قل السلام عليكم»**.

وبهذا السلام المبارك الطيب يسلّم الرب تبارك وتعالى على المؤمنين إذا دخلوا الجنة كما قال تعالى: **﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾** [يس: ٥٨] وقال تعالى: **﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾** [الأحزاب: ٤٤].

وروى ابن ماجه في سننه وابن أبي حاتم والبغويّ في تفسيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): **«بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة قال وذلك قول الله**

تعالى: **﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾**».

وبهذا السلام المبارك الطيب تسلّم الملائكة على المؤمنين إذا دخلوا الجنة كما قال تعالى: **﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

وقد تقدم ذكر تسليمهم على آدم بهذا السلام المبارك الطيب.

وكما إن السلام هو تحية المسلمين فيما بينهم في الدنيا فكذلك هو تحيتهم فيما بينهم في الدار الآخرة كما قال تعالى: **﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾** [يونس: ١٠] وقال تعالى: **﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾** [إبراهيم: ٢٣].

وإذا عُلم فضل السلام وأنه تحية المسلمين في الدارين فليُعلم أيضاً أنه لا أسفه رأياً ممن رغب عن ذلك واستبدل عنه بإشارات الإفرنج وضربِهم بالأرجل.

والله المسؤول أن يوفق ولاة أمور المسلمين لمنع هذه الأفعال المخالفة للشريعة المحمدية».

وقد إتُّخذ هذا الكلام ذريعة لترك العسكرية بل إن أغلبهم كان يصطحب كتاب توصية من الشيخ عبد العزيز بن باز مدعم بكلام الشيخ حمود التويجري الآنف الذكر.

ـ بيان رفع الإلتباس

تعتبر رسالة «رفع الالتباس» البيان الذي ضم الأفكار التي تسببت في الخلاف بين الإخوان مما نتج عنه شقاق وعزلة بعض الإخوان للجماعة ففي هذه الرسالة إختار جهيمان الصدام مع الدولة والسلطة والمجاهرة بذلك كمسلك دعوي يتوسل بمسائل الحسبة والصدع بالرأي كما كان يفعل النبي إبراهيم (عليه السلام)، وقد وضّح جهيمان لمفهومه لملة إبراهيم بقوله:

«تقوم ملة إبراهيم على أصلين:

١ ـ إخلاص العبادة لله وحده.

٢ ـ التبرؤ من الشرك وأهله وإظهار العداوة لهم.

وقد أمر رسولنا (صلى الله عليه وسلم) باتباعه عليه السلام، قال تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [النحل: ١٢٣].

وقال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: ١٦١].

ولا ريب أننا مأمورون باتباع هذه الملة ومن رغب عنها منا فقد سَفِه نفسه.

وقد سار عليها الخليلان ونالا الخلة بذلك كما في

صحيح مسلم رحمه الله حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

فملّة إبراهيم هي ملة نبينا (ﷺ) وهي ملتنا وهي أسوة نبينا وأسوتنا، كما قال تعالى: **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾** [الممتحنة: ٤].

فظهر مما تقدم أن ملة إبراهيم (عليه السلام) هي البراءة من الشرك وأهله ومفارقتهم ومقاطعتهم، ولم يتم ظهور دين الإسلام إلا بتطبيق هذا الجانب، وهو مفارقة من في الأرض، كما في البخاري في كتاب **الاعتصام** من حديث جابر (رضي الله عنه) الطويل وفيه: «ومحمد فرق بين الناس»، وكما في حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) في الرؤية.

وقد انتقد جهيمان في هذه الرسالة ثلاث فئات من الدعاة أخلّوا بمنهج إبراهيم في الدعوة:

«أما حال من التبس عليهم الأمر عمداً أو جهلاً، فلنسرد لك أعمالهم وأقوالهم ليتجلى لك حالهم:

تقول طائفة منهم إن قيام الدين أساسه محاربة القبوريين وإظهار العداوة لهم والتحذير منهم ومحاربة الصوفية وأهل البدع.

وطائفة أخرى تقول بقول الطائفة الأولى وتزيد عليها

بالحمل على التعصّب المذهبي الأعمى والدعوة إلى الذب عن الحديث وتصفيته مما أدخل فيه، وذلك جُلُّ همهم.

وثالثة فتنت بالشيوعية والرد عليها وإثبات وجود الخالق والسعي الجاد في السيطرة على المراكز الهامة في الحكومات بقصد السيطرة على الحكم».

يقصد جهيمان هنا في الطائفة **الأولى** جماعة أنصار السنة(١٤).

ويقصد في **الثانية** الجماعة السلفية أتباع الألباني في الشام والكويت ويقصد في **الثالثة** جماعة الإخوان المسلمين.

ويقول: «أما الطائفة الأولى والثانية ومن شاكلهم، فيظهر لنا من حالهم أن ما قاموا به حق لا ينكر. ولكن لما كان هذا القيام منهم في مواجهة من لا سلطة في يده، وأنهم سكتوا عن أصحاب السلطات فيما يقومون به من هدم لدين الله، كان طريقهم الذي سلكوه هو الذي ضلّ به من كان قبلهم...».

وقال في الطائفة الثالثة: «والطائفة الأخيرة تسير خلاف هدي الرسول (ﷺ)، وتنهج طريق تحكيم الأفكار، فمن

---

(١٤) جماعة أنصار السنة المحمدية، أسسها الشيخ محمد حامد الفقي سنة ١٩٢٦م في القاهرة؛ من أهم أهدافها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة البدع والشركيات. كان لهم أتباع في السودان وغيرها، عرفهم جهيمان عن قرب والتقى ببعض عناصرهم من السودانيين خصوصاً.

مبادئهم التخفي تحت أستار شتى، ويحاولون أن يغدروا بمن يعملون تحت سلطته.. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في **صحيح مسلم**: «لا غدر في الإسلام»، ويقول في حديث علي (رضي الله عنه) في البخاري في غزوة خيبر: «فادعُهم للإسلام».

وكذلك هؤلاء إذا رأوا من يدعو إلى التوحيد وذم الشرك بأنواعه والبدع بأنواعها وبيان السنة الصحيحة وتصفيتها مما ليس منها، تراهم يتهمونه بالقصور في فهم الإسلام ويوجهون إليه انتقاداتهم مدّعين أن الأمر أكبر من ذلك (وهي الشيوعية)».

....

حدث جدال داخل الجماعة وكثير ما يحدث حول موضوع اعتزال الفتن والمجتمع وكان سبب هذا الجدل هو قرار محمد الزامل وفيصل محمد فيصل وعصام شيخ، الخروج من المدينة وذهابهم إلى الصحراء وسكناهم الخيام من باب العزلة للمجتمع، وهنا حدث عندهم التناقض بين ما ورد من آثار تحث على عزلة المجتمع وما ورد من آثار تحث على سكنى المدينة المنورة وأن المدينة تنفي خبثها. الخلاصة خرجت هذه المجموعة ونصبت خياماً قرب المدينة في مكان لا يصلح للنزول أو للسكنى، مكان كالح لا يوجد فيه من حولك شجر ولا نبات، أتيتهم فيه وأصبت بالقمل لبياتي عندهم. كان المكان موحشاً بمعنى الكلمة، جبال سوداء وأرض حجرية سوداء ولا خدمات لا أدري لماذا يعذّب الإنسان نفسه وعائلته ويتأزم طوال الوقت أتيتهم في

هذا المكان فوجدتهم حائرين في وقتهم يشتكون القمل وشح الماء وعدم التأقلم مع المحيط ولم أجد لهم نشاطاً إلا التدرب على الرماية كان معهم بندقية يرمون بها على أهداف معينة.

بتّ عندهم عدة ليالٍ كانت عذاباً بمعنى الكلمة ثم تركتهم ونزلت للمدينة المنورة ومن المدينة ذهبت للرياض وكنت أعاني من القمل فنصحني أحد الإخوة الخبراء بالقمل أن أستعمل مسحوق تايد وأن أضعه على رأسي مثل الحنّاء وفعلاً لم أتخلص من القمل إلا بهذه الطريقة الفتاكة.

بعد ذلك ذهب أحمد الزامل للمدينة ولم يعد وتبعه فيصل وعصام إن هذه التجربة كانت فاشلة بجميع المقاييس.